# خطبة الجمعة

## التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

## الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٠/٠٢/٢٦

**في مسجد بيت الفتوح بلندن**

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّـــاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّـــذِينَ أَنْعَمْـــتَ عَلَـــيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٧).

لقد لفتُّ انتباهكم في الخطبة الماضية إلى أحد أوامر القرآن الكريم الذي إذا استجاب له المرء خشيةً لله ففيه ضمان لسلام المجتمع وأمنه، وبما أن الله ﷻ قد

ذكر في نهاية هذا الحكم القرآني أنه حسيب، ففي ذلك تنبيه لكل مسلم أنه إذا لم يعمل بهذا الحكم المهم، أي إلقاء التحية على بعضهم البعض فسوف يحاسبه الله ﷻ. وفي هذا السياق هناك حكم مهم آخر لا تقتصر أهميته على أداء حقوق العباد فحسب، بل له أهمية كبيرة بخصوص سلامة المجتمع والقضاء على النفور والكراهية. وهذا الحكم ورد في الآية السابعة من سورة النساء التي تلوتها عليكم الآن، وفي نهاية هذه الآية أيضا نبَّه الله انطلاقا من كونه حسيبا أنه إذا لم تستجيبوا لهذا الحكم فسوف يحاسبكم الله. فقد وردت في هذه الآية بعض الأوامر والتوجيهات بخصوص التعامل مع اليتامى وكيف ينبغي أن يكون سلوكنا تجاههم. لقد بدأ الله هذه الآية بـــ ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ أي اختبروا اليتامى فينة بعد فينة، فما معنى الابتلاء هنا؟ وكيف نبتليهم، ألا إنما المراد من الابتلاء هنا أن اليتامى الذين عُهدت إليكم كفالتُهم أن تهتموا بتربيتهم وتعليمهم. فلا تهملوا تربيتهم وتثقيفهم وتعليمهم معتبرين إياهم عديمي الحيلة والسند، بل يجب عليكم أن تهيئوا لهم الوسائل والفرص للتعليم والتربية على أحسن وجه. واختبروهم كما تختبرون أولادكم بعد فترات متفاوتة، هل يقطعون أشواط التقدم في مجالات الدين والدنيا كما يجب أم لا. ثم قدموا لهم كل مساعدة ممكنة في المجال الذي يرغبون فيه، لا أن تهيئوا لأولادكم دروسا خصوصية إذا كانوا مقصرين في الدراسة وتوفروا لهم فرصا أفضل للدراسة وتقلقوا حول دراستهم، ولا تعيروا أي اهتمام لدراسة اليتيم وتربيته الذي عهدت إليكم كفالته حتى لو كان مؤهلا للتقدم في الدراسة. كلا بل يجب أن تعملوا لإظهار جميع قدراته وكفاءاته بوجه أتمّ، فهذا هو المبدأ. يجب أن تتيحوا

الفرص للتقدم والرقي حسب مواهبه وقدراته ليتقدم ويتكفل نفسه في المستقبل. فلا يخطرنّ بباله أبدا أنه بسبب كونه يتيما بقي محروما من توظيف قدراته ومؤهلاته، وأنه لو كان أبواه حيين لكان في زمرة المتقدمين السباقين. فسواء إذا كان شخص يكفل يتيما أو كانت الجماعة تكفله، فإن مسؤولية الاستعراض الكامل لأوضاع دراسته وتربيته والإشرافِ الكلي على جميع شُؤونه وتصرفاته تقع على هؤلاء الكافلين المربّين. ثم ينبغي أن يستمر هذا الاختبار والإشراف إلى أن يبلغ النكاح؛ أي سن النضج، إذ يقدر البالغ على التمييز بين الحسن والسيئ، وإذا كان قد تلقى تربية جيدة في الطفولة فيمكن أن يصبح جزءا نافعا للمجتمع. وهنا أيضا لُفت الانتباه إلى أمر آخر بتعمق وهو أن مجرد بلوغ شاب سن الرشد لا يمكِّنه بالضرورة من الحفاظ على ما ترك أبواه من أموال وعقار، فهنا اشترط أن يكون عاقلا أيضا حيث يجب أن يكون لديه شعور بالمسؤولية وإدراك باستثمار أمواله بشكل صحيح. لهذا قال: اختبروا عقلهم أيضا، وإذا كان الولد يبدو جيدا في دراسته وتصرفاته العامة ومعاملته مع الآخرين وسلوكه بشكل عام من الطفولة حتى بلوغه سنَّ الرشد، وعقلُه سليم، فمن البديهي أنه جدير بأن تسلَّم إليه أمواله وعقاره الذي ترك له الوالدان ليحافظ عليه ويستثمره ويتصرف فيه كما يريد، لكنه إذا كان أحدهم رغم بلوغه سنَّ الرشد لا يقدر على حفظ أمواله فإن مسؤولية حفظ أمواله تقع على كافلِه ويتحتم عليه أن يحافظ على أمواله، ولينفق عليه حسب الضرورة، ولا يغيبن عن البال أنه خلال هذه الفترة – حيث يزيد عمره إذ يبلغ البعض الرشدَ متأخرا – يجب أن تشرحوا له ما يتعلق بالأمور المالية لكي

يتمكن من حفظ أمواله في وقت من الأوقات. فبعض الناس لا يقدرون على إنجاز أعمال كثيرة في شتى المجالات ولا يستطيعون التصرف فيها جيدا، لكنني مع ذلك لاحظت أنهم يتقنون حفظ الأموال، ويعرفون جيدا كيف يتصرفون في الأموال ويستثمرونها، إلا أن يكون قد فقد العقل تماما، فالناس يرونه غبيا وبعض الناس يصفونه مخبولا مسطولا، لكن ذلك المسطول في أعين الناس أحيانا يجني في التجارة ثمارا لا يجنيها كثير من العقلاء والمثقفين المتعلمين.

ثم قال إن الذين جُعلوا مسؤولين ومراقبين فيجب ألا يسرفوا في أموال اليتيم التي تركها والداه. أي لا تنفقوا على اليتامى من أموال آبائهم وعقارهم دون حساب بحيث تنتفعون من أموالهم بحجة أنكم تنفقون عليهم، ويكون في بالكم أنه قدر ما تنتفعون من أموال اليتامى بسرعة هو أفضل لأنهم إذا كبروا فلا مناص من تسليم أموالهم وعقارهم لهم، أو سوف يستلمونها بالنـــزاع إذا كان الكافل ظالما، فقد لوحظ في حالات كثيرة أن الكافلين لا يدفعون إلى اليتامى أموالهم حتى بعد بلوغهم سن الرشد، وأخيرا يستعيدون أموالهم وعقارهم باللجوء إلى المحاكم. فباختصار، قال إذا فسدت نياتكم فسوف تحاسَبون، ثم إن الله ﷻ فرض قيدا آخر لمنع الظالم وسيئ النية من تصرفه المشين، وهو أنه إذا كان الكافل غنيا يقدر على تحمّل نفقات اليتيم ويستطيع أن يؤمِّن لليتيم الطعام واللباس والدراسة والتربية جيدا فيجب عليه ألا يأخذ شيئا من أموال اليتيم وعقاره، بل ينبغي أن ينفق عليه من جيبه، فإنما المراد من ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: أنه إذا خطر بباله أن ينفق منها شيئا فلينفض هذه الفكرة ويسعى جاهدا ليجنب نفسه من مثل هذا التصرف الظالم، ويطرد من قلبه

هذه الأفكار الشيطانية، فكل ما يتولد في قلب الإنسان من الأفكار ضد أوامر الله فهو من الشيطان. فالغني مأمور بأن يكفل اليتيم من جيبه، مهما ترك والدا اليتيم من أموال وعقار، أما الفقير الذي لا يجد سعة من المال تكفي لتحمل نفقات اليتيم للدراسة والتربية بالإضافة إلى نفقاته اليومية لأهل بيته، فيجوز له أن ينفق على اليتيم مما ترك له الوالدان من الأموال والعقار، ومع ذلك يجب أن يكون هذا الإنفاق بمنتهى الحذر والاقتصاد وأن يكون له حساب دقيق بالتفصيل. فلا يجوز للفقير أن ينفق على أفراد أسرته أيضا من أموال اليتيم، بحجة أنه يربيه في البيت فيحق له أن يأخذ من أمواله أجرةَ السكن ويدفع منها فاتورة الكهرباء والغاز وغيرهما. فهناك بخلاء وسيئو النية ينحطون إلى هذه الدرجة، فعن أهمية كفالة اليتيم قد ورد في حديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَجُلا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَيْسَ لِي مَالٌ وَلِي يَتِيمٌ فَقَالَ كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَذِّرٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ مَالاً وَمِنْ غَيْرِ أَنْ تَقِيَ مَالَكَ أَوْ قَالَ تَفْدِيَ مَالَكَ بِمَالِهِ. (مسند أحمد مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ)

فمن المحتمل أن يستثمر الكافل أموال اليتيم ويأكل من الأرباح ويُكثر أمواله من الأرباح بحجة أن الرأسمال محفوظ. كما لا يجوز له أن يُبقي ماله محفوظا وينفق من أموال اليتيم على اليتيم وعلى نفسه أيضا، فكلتا الحالتين ممنوعة.

وهناك أمر آخر أنه إذا لم ينفق الكافل على اليتيم رغم سعته في المال أو أنفق عليه رغم فقره، وأراد أن يدفع إليه أمواله عند بلوغه سن الرشد فليقدِّم له جميع الحسابات. ومن المفضَّل أن تزيدوا أمواله باستثمارها في التجارة ثم تشرحوا له عند تقديم الحسابات أن هذا هو رأس مالك من العقار أو المبالغ

النقدية، وهذه أرباحك وها أنا أعيد إليك رأس مالك مع الأرباح. كذلك إذا كان الفقير قد أنفق من أموال اليتيم على كفالته فيجب أن يقدم له عند بلوغه سن النضج جميع الحسابات بدقة حتى للقروش التي أنفقها عليه، ويجب أن تستشهدوا عند تقديم هذه الحسابات لئلا يحدث سوء ظن من أحد الطرفين، ويجب ألا يشعر اليتيم في قلبه ضجرًا وألًما. قد تتولد أحيانا في قلب اليتيم وساوس أو يمكن أن يولّدها بعض الناس الذين يتظاهرون بإبداء مواساتهم له، لذلك فإن الله تعالى قد أمر – نظرًا إلى طبيعة الإنسان هذه – أنه كلما رددتم إلى اليتيم أمواله ردّوها كاملةً وأشهدوا على ذلك من أجل وقاية كافل اليتيم من أي ابتلاء وإنقاذ اليتيم نفسه من سوء الظن. لا يحتوي أي كتاب شرعي على أحكام مفصلة عن اليتيم مثل القرآن الكريم. ولقد ذكر الله تعالى في الآية المذكورة آنفًا سبعة أمور هامة وهي:

الأول: اِبتلوا اليتامى، وانتبهوا إلى تعليمهم وتربيتهم وانظروا هل هم ماضون على دروب التقدم أم لا.

الثاني: أن يستمر الاهتمام بتعليمهم وتربيتهم حتى بلوغهم سنّ الرشد، ويجب ألا ينقطع قبله.

الثالث: يجب أن تدفعوا إليهم أموالهم عندما يصبحون أهلا لحفظها.

الرابع: يجب ألا تنفق أموال اليتيم إلا عليه، ولا تنتفعوا منها أنتم.

الخامس: إذا كان كافل اليتيم غنيًّا فلا يحق له أن يأخذ من مال اليتيم شيئا.

السادس: إذا كان كافل اليتيم فقيرًا فيسمح له الإنفاق من أموال اليتيم بالمعروف.

السابع: أن تستشهدوا عندما تدفعون إلى اليتامى أموالهم، وذلك حتى لا تتعرضوا للاتهام ولا يتولد سوء الظن في قلب اليتيم.

وفي النهاية قال تعالى إنه يراكم ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فإنه يعرف نياتكم، وإن لم تهتموا بالحساب على هذه الشاكلة فتذكروا أنكم ستحاسَبون في يوم من الأيام على كل قرش من هذه الأموال. لقد ورد في مواضع عدة من القرآن الكريم حثٌّ على كفالة اليتيم والإحسان إليه، وورد التأكيد على حفظ أمواله، يقول الله تعالى في سورة بني إسرائيل الآية رقم ٣٥: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾. تتضمن هذه الآية بعض الأحكام التي سبق شرحها، إضافة إلى ذلك ورد فيها أمر يبدو في الظاهر زائدًا وهو: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾، فما هو هذا العهد وما هو هذا الأمر الذي كان مسؤولا؟ لقد فسره المصلح موعود ﷺ وقال: المراد من العهد هنا هو المسؤولية. فإن تربية اليتامى وحفظ أموالهم مسؤوليةٌ تقع على الأفراد والمجتمع على حد سواء. وإنها لمسؤولية المجتمع أن يعتني بهم ويحافظ على أموالهم حتى يبلغوا رشدهم بحيث يحافظون بأنفسهم على أموالهم، وإذا كانوا من الأحمديين فرعايتهم ستكون مسؤولية الجماعة. لا يعتبر ذلك منة على اليتامى فلا تمنّوا عليهم قائلين: إنني حفظت لك أموالك وعقارك وكنت عليها من الحارسين، ولو لم أقم بذلك لما كان لك قرار، كلا بل هو واجب المجتمع الإسلامي كله وهو حق اليتيم عليه. ثانيا هو واجب يفرضه الله تعالى عليكم فلو لم تقوموا بهذا الواجب بل على عكس ذلك قمتم بتصرف غير لائق في مال اليتيم فستكونون مسؤولين أمام الله تعالى، وهذا هو

الموضوع نفسه الذي ذكره الله تعالى في الآية التي قرأها أولا حيث قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ (النساء: ٧). ثم شرح الله تعالى هذا الأمر ووجّه تنبيهًا في آية أخرى حيث قال: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٣).

أعيد الموضوع نفسه ههنا أيضا. فقد وضح الله تعالى هنا إذا ضممتم أموال اليتيم إلى أموالكم ثم حاولتم الانتفاع بها فبسبب سوء النية ستتحول أموالكم الطيبة أيضا إلى أموال خبيثة. وإن كسْبَ مثل هذه الأموال المحرمة لذنب كبير تعاقَبون عليه. ولقد أبدى الله تعالى غضبه الشديد على من يفعل ذلك في آية من سورة النساء، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(النساء: ١١)، فإن أكل مال اليتيم يشبه أكل النار التي تحرقهم في هذه الدنيا أيضا كما سيَصْلون فيها بعد مماتهم أيضا. فهذا هو التعليم الرائع للإسلام الذي يتضمن حفاظًا على حقوق اليتيم الذي يعتبر جزءا ضعيفا من المجتمع، وقد قدّم هذا التعليم حتى لا يختل أمن المجتمع. إن الذين يأكلون أموال الآخرين ظلما لا ينالون السكينة بل يعيشون في اضطراب وقلق دائمين، فلن تروا أحدًا يأكل أموال الآخرين ظلمًا ثم يتمتع بسكينة وطمأنينة في حياته. فالهدف الحقيقي الذي يسعى المؤمن للوصول إليه – وينبغي له أن يسعى من أجله – هو نيل رضا الله تعالى. ثم يجب أن يتضح أن هذه الأحكام لا تتعلق فقط باليتامى الذين يملكون أموالا، ولا يظنّ أحد أن الإسلام يعنى بحفظ حقوق اليتامى الذين يملكون الأموال ويأمر بحفظ أموالهم، كلا بل إذا تدبرنا في هذه الأحكام وجدنا فيها حكمًا عامًّا أيضا وهو

أن من مسؤوليتكم رعاية اليتيم وتربيته ولو كان فقيرًا، ولكن إذا كان له عقار وأموال فمن واجبكم – إلى جانب تربيته – أن تحافظوا على أمواله أيضا. ويجب ألا تقوموا بتربية اليتيم طمعًا في أمواله بل بسبب يُتمِه. لقد قال الله تعالى في الآية العاشرة من سورة النساء: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾، فهذا تنبيه آخر لإقامة حقوق اليتيم. لا أحد يعرف متى يموت، لذلك يجب أن تتذكروا عند تربيتكم لليتامى أنه يمكن أن يصبح أولادكم أيضا أيتاما، وفي هذه الحالة لا بد أن يخالج قلبكم قلق واضطراب إذا خطر ببالكم تعرضهم للمعاملة السيئة. فإذا كنتم تفكرون لأولادكم على هذا النحو ففكروا مثله للآخرين أيضا، هذا هو أمر الله تعالى لكم. وعلى من عُهِدت إليهم مهمةُ تربية اليتامى أن يسعوا جاهدين ليكون هؤلاء الأولاد جزءا مفيدًا للمجتمع. قد يحدث العكس في بعض الأحيان حيث يعتبر البعض الحب والدلال هو التربية فحسب، وإن كبار العائلة أمثال الجد والجدة يفسدون الطفل بالحب والدلال، الأمر الذي ليس صحيحًا أيضا. إن الهدف الحقيقي من تربية اليتامى هو أن يتلقّوا تربية جيدة بحيث يصبحون جزءا مفيدا للمجتمع. وهذا هو الهدف الحقيقي أن تتم تربية اليتامى – الذين يصاب بعضهم بشعور الدونية تحت ضغط الظروف أحيانا فيضيّعون مواهبهم – بطريقة تجعلهم أفرادًا مهمِّين في المجتمع والبلد. فلا تحبّذ ممارسة القسوة والضغط ولا المعاملة باللين المفرط بل يجب القيام بتربيتهم بإخلاص النية كما تقومون بتربية أولادكم أنتم. وكما يحق للطفل الذي أبواه على قيد الحياة أن يعيش في كنف رعايتهما كذلك هذا هو حق اليتيم أيضا ألا يشعر بفقد أبويه.

يقول الله تعالى في سورة البقرة عن حق اليتيم: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة ٢٢١). ليس المقصود من الآية اليتيم الذي يملك أموالا فقط بل هي تتحدث عن كل يتيم ضعيف وفقير وعديم الحيلة. إن إصلاح اليتيم وتربيته وتعليمه من الحسنة والخير، ورد في حديث نبوي شريف عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ أَوْ يَتِيمَةٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلاَّ لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمَةٍ أَوْ يَتِيمٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ وَقَرَنَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ. (مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار). فهذه هي المكانة العليا لكافل اليتيم حيث إن النبي ﷺ قد بشره بالجنة، ومن يمسح رأس يتيم ويعتني به ينال بكل شعرة مرَّتْ عليها يده حسناتٍ. إن صحابة النبي ﷺ كانوا يتسابقون في هذا الأمر وكانوا حريصين دائما على كفالة اليتيم، وإذا وُجد يتيم كانوا يتسابقون فيما بينهم، يقول أحدهم أنا أكفله، ويقول الثاني أنا أكفله، ويقول الثالث أنا كفيله. وبذلك كانوا حريصين أن يؤمِّنوا لهم مكانا في الجنة عند أقدام النبي ﷺ. لذا حين كانوا يكفلون اليتامى.. كانوا يربونهم على أحسن وجه، فكانوا يهتمون بتعليمهم وتربيتهم مثل أولادهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢١) أي أنه عَدَّ كفلاءَ اليتامى كالأخ الأكبر لهم الذي يهتم بمسؤولياته تجاه أخيه الأصغر، أي كالإخوة الكبار الذين يؤدون حقوق الإخوة الصغار في الحقيقة. وإن كان بعض الإخوة الكبار أيضا يظلمون إخوتهم الصغار أحيانا.

على أية حال فقد أمر الله تعالى هنا بأن عليكم أن تؤدوا حقوقهم بصفتكم أخا أكبر لهم، بل إذا كانوا بحاجة إلى مساعدتكم فعليكم أن تساعدوهم بعد تعليمهم وتربيتهم حتى يقفوا على أقدامهم، أي إذا كانت عندكم سعة من المال فيمكن أن تقدموا لهم مساعدة مالية أيضا. وإذا اقتضى الأمر لمساعدتهم في التجارة مثلا أو في أي شيء آخر فعليكم بمساعدتهم كما يساعد الأخ الكبير أخاه الصغير. ويجب أن تكون هذه المساعدة عفيفة بكل معنى الكلمة.
ثم بيّن الله تعالى أنه مطلع على كل الحالات قائلا: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (البقرة: ٢٢١)
إذن، يجب أن تعاملوا اليتامى بالحسنى بُغية جعْلهم جزءا مفيدا للمجتمع. كذلك قد مّن الله تعالى على كافل اليتيم أنه إذا كان لا يملك سعة من المال ولا يستطيع أن يرعى اليتيم على أحسن وجه فقد سمح له أن ينفق من مال اليتيم حسب الحاجة إن كان اليتيم يملك مالا، لأن الله تعالى لا يريد أن يضيِّق عليكم.
من هنا يتضح أيضا ما الذي يجب فعله إذا كان كافل اليتيم لا يملك مالا ولا اليتيمُ الذي تحت كفالته. ولما كان الله يعلم أنكم لا تقدرون على ذلك رغم إخلاص نيتكم فقال بأنه يجب ألا تضيقوا على أنفسكم، بل يجب أن تحوّلوا الأمر إلى الجماعة، واتصلوا بالمسؤولين في الجماعة، وبهذه الطريقة دبِّروا لهم مرافق التعليم والتربية. أي أن الهدف المتوخى هو تعليم اليتيم وتربيته وليس التضييق عليكم، لذا إذا كانت هناك حاجة للمساعدة من الجماعة فأخبروها.

ثم يقول الله تعالى في ذكر إكرام اليتيم واحترامه: ﴿كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (الفجر: ١٨) ثم يبشّر ﷻ بالعذاب نتيجة عدم إكرام اليتيم وعدم القيام ببعض الحسنات الأخرى، فقال: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ (الماعون: ٣) ففي هذه الآية ورد ذكر الذين لا دين لهم، ومن كبرى علاماتهم – علاوة على علامات أخرى – أنهم يطردون الأيتام. إذن، فهذه السيئة في الحقيقة علامة على انحطاط المجتمع ومدعاة لدماره. فلا بد من استئصال شأفتها من أجل إقامة مجتمع أسمى لأن الجماعة تفقد روح التضحية نتيجة عدم أداء حقوق الأيتام، الأمر الذي يحول دون تقدمهم ويحرمهم من المضي قُدُما. وإن لم يُقضَ على هذه الظاهرة لاتسعت الفجوة بين الأثرياء والفقراء وبالتالي ينشأ المجتمع الفاسد بدلا من المجتمع الآمن. بينما لا يحب الله تعالى فقط أن تؤَدَّى حقوق البشر على أحسن وجه، بل فُرض أداؤها على المؤمنين. ويخبر الله تعالى عن الذين يبتغون مرضاته ويبين كيف يكفلون اليتامى فيقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٩) إذن، هؤلاء الناس هم الذين يقدمون التضحيات من أجل الفوز برضا الله تعالى، ويطعمون الشريحة المحرومة في المجتمع. ولكن ما المراد من الإطعام هنا؟ المراد من ذلك هو توفير الكفالة والتربية والتعليم لهم. وذلك مع أن المنفقين المذكورين هنا يكونون محتاجين بأنفسهم أو يرغبون في تحسين ظروفهم الاقتصادية، إذ لا تكون حالتهم المادية يُحسد عليها بل يعيشون عيشا وسطا فحسب ومع ذلك يضيقون على أنفسهم من أجل أداء حقوق اليتامى.

فبإيراد كلمة ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ نوَّه الله تعالى إلى أنهم لا يقدمون للأيتام ما فضل عن حاجاتهم بل يعطون ما يحبونه. فالتضحية الحقيقية هي أن يضحي الإنسان بما يحبه ويرغب فيه حتى تخرج الفئة المحرومة للمجتمع من دوامة الإحساس بالحرمان بل تصبح على قدم المساواة مع الآخرين، وتتسنى لهم فرص للتقدم والازدهار. فهذا هو المجتمع الجميل الذي ينصحنا الله تعالى بإقامته. لقد كان النبي ﷺ أيضا يؤكد على هذا الأمر كثيرا. فقد قرأتُ عليكم حديثا بهذا الصدد من قبل، وسأقرأ حديثين آخرين أيضا، حيث يشيران إلى مكانة كافل اليتيم، فقد ورد في رواية: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ عَالَ ثَلاثَةً مِنَ الأَيْتَامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَهَاتَيْنِ أُخْتَانِ وَأَلْصَقَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى. (سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب حق اليتيم)

إذن، فإن مكانة كافل اليتيم هي كمكانة الذين يتهجدون في جوف الليالي ويصومون النهار ويجاهدون في سبيل الله. ثم هناك رواية أخرى جاء فيها: عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ. (مسند أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، حديث حارث بن مالك رضي الله عنه)

فالكفالة الحقيقية هي أن يطعم الإنسانُ اليتيمَ طعاما كطعامه ويهتم بحاجاته ويوصله إلى مقام حتى يصبح قادرا بنفسه على البحث عن دروب تقدمه، أي يصبح جزءا مفيدا للمجتمع. ومن عمل بذلك فله البشرى من الله تعالى

بالجنة. وقد ورد في رواية أخرى ما معناه، إلا ذنبا لا يُغفَر – وإن أكبر ذنب لا يُغفَر هو الشرك – وإلا فإن الله تعالى يجزي كافل اليتيم جزاء وفيرا.

وبفضل الله تعالى إن الجماعة الإسلامية الأحمدية تعير الأيتام اهتماما خاصا، ففي بعض البلاد الإفريقية تنفق الجماعة على الأيتام من غير الأحمديين والمسيحيين أيضا. غير أنني أريد الآن أن أذكر لكم مشروع رعاية الأيتام في باكستان بوجه خاص. فهناك لجنة رعاية الأيتام التي تعمل بنشاط بفضل الله تعالى. ومعلوم أن الخليفة الرابع رحمه الله قدّم هذا المشروع في عام ١٩٨٩م لرعاية الأيتام شكرا لله تعالى بمناسبة اليوبيل المئوي لتأسيس الجماعة. أما الآن فقد توسَّع نطاق هذا المشروع كثيرا. كان المشروع في البداية يتلخص في إسكان مئة يتيم في دار الأيتام ولكن أظهر أقاربهم رغبة في إسكانهم معهم في بيوتهم على أن تدفع الجماعة نفقاتهم. على أية حال فقد ارتفع هذا العدد كثيرا الآن وتوسع المشروع إلى حد كبير.

لقد سمعنا أوامر الله تعالى والأحاديثَ أيضا بصدد كفالة اليتامى وبذلك قد اطلعنا على أهمية الموضوع. وكما قلت من قبل إن هذا المشروع توسع كثيرا، فهناك ٢٧٠٠ يتيما – بدلا من مئة كانوا في البداية – ينحدرون من ٥٠٠ عائلة تعنى بكفالتهم لجنة رعاية الأيتام حاليا. تُنفق عليهم من مليونين ونصف مليون إلا ثلاثة ملايين روبية شهريا. وتُنفَق هذه الأموال بحذر شديد ولا تذهب هدرا قط. هذه النفقات تشمل مصاريف طعامهم وتعليمهم وتربيتهم وعلاجهم. وكذلك مصاريف زواج الفتيات اللواتي يصلن سن البلوغ.

وبالإضافة إلى ذلك هناك أيتام يملكون بيتا مثلا ولكن ليس عندهم مال لترميمه وصيانته فتدفع الجماعة لهذا الغرض أيضا.

على أية حال، هذا المشروع يتطلب نفقات واسعة النطاق. وهذا الصندوق بحاجة ماسة للنقود – يخبرني أحيانا رئيس لجنة رعاية الأيتام بكلمات غير صريحة، طبعا هو لا يكتب لي ذلك صراحة بل يكتب أحيانا للدعاء فقط – لذا فأوجه اليوم أنظار الأحمديين الباكستانيين الذين يسكنون في أميركا أو كندا أو أوروبا أو بريطانيا أن يساهموا في هذا المشروع. وأي سعادة أكبر للمؤمن من أن ينال مكانا عند أقدام النبي ﷺ. لقد قمتُ بالتقديرات في هذا الصدد وتوصلت إلى نتيجة أنه لو دفع الأحمديون الساكنون في بريطانيا وأوروبا وأمريكا وكندا من ٧ إلى ١٠ جنيه مرة واحدة في السنة – ليس شهريا بل ١٠جنيهات مرة واحدة في السنة – من قِبل كل فرد من أفراد البيت لاستطاعوا أن يحملوا عبئا كبيرا من لجنة رعاية الأيتام في باكستان. لا شك أن ١٠ جنيهات مبلغ جد زهيد للذين يسكنون في البلاد التي ذكرتها آنفا. لكن هذه الجنيهات العشرة يمكن أن تلعب دورا هاما جدا في تنوير مستقبل كثير من الأيتام، وذلك إذا دفع كل فرد من العائلة ١٠ جنيهات. أما الأثرياء فيمكنهم أن يدفعوا أكثر من ذلك أيضا. النقود التي تُصرف على يتيم واحد منذ صغره إلى بلوغ سن الرشد تُقدر من ألف إلى ثلاثة آلاف شهريا، وذلك بالإضافة إلى نفقات متفرقة أخرى.

كذلك أريد أن أوجه أنظار الإخوة الأثرياء في باكستان أيضا أن يساهموا في صندوق الأيتام بسخاء. يقول الله تعالى بأن المؤمنين ينفقون الأموال رغم

حاجتهم إليها، فيجب أن تتنبهوا إلى ذلك دائما. ولا أمنع الأحمديين خارج باكستان أيضا من المساهمة في ذلك فليساهموا إذا شاؤوا. فإذا أتت النقود من هذا الطريق أيضا فيمكن أن تُنفق منها في بعض البلاد الفقيرة وفي إفريقيا وقاديان، أما الإخوة في باكستان فأوجه أنظارهم إلى المساهمة في رعاية الأيتام في باكستان بوجه خاص.

ندعو الله تعالى أن يوفقنا لأداء حقوق هذه الشريحة الضعيفة من المجتمع بكل ما في وسعنا وننال رضا الله تعالى، آمين.